الفصل الثانى

مسرح الطفل وواقعه فى الوطن العربى

نبذة تـاريخية عن مسرح الطفل فى العالم العربى

مسرح الطفل فى العالم

مسرح الطفل فى الوطن العربي:

الطفل العربى ثروة الأمة الحقيقية ومستقبلها. وبين الحين والحين تتجدد المؤتمرات وتناقش البحوث وتكثر الدراسات حوله. من تلك الدراسات الهامة "مسرح الطفل فى الوطن العربى".

واقع مسرح الطفل فى العالم العربى

وقضية مسرح الطفل على مستوى الوطن العربى تشير إلى أن العرب القدماء عرفوا فنون مسرح الكبار اعتبارا من ١٨٤٨على يد (النقاش- القباني- صنوع)، بينما مسرح الطفل لم يعرف إلا خلال الخمسين سنة الأخيرة تقريبا.. خصوصا فى مصر والعراق والجزائر وسوريا.

وربما يجدر بنا أن نشير إلى ضرورة اهتمام الجهات الرسمية بمسرح الطفل أولا، وربما لأسباب اقتصادية أساسا، حيث أنه من النادر وغير المتوقع الآن على الأقل أن يدخل القطاع الخاص فى نشاط إنتاج مسرحية للطفل، نظرا لتوقع البعض عدم ضمان ربحية ذلك المسرح تجاريا، وربما لأسباب أخرى مثل عدم وجود الوعى الكامل لدى أصحاب رأس المال العربى للاستثمار فى الفن المسرحى للطفل. وفى كل الأحوال فضرورة تدخل الحكومات ودعمها من الأمور الهامة.

وعندما نعود إلى واقع المسرح الذى يبدو دوره غائباً أو متعثراً، فمن خلال متابعة بعض الأعمال المسرحية الخاصة بالأطفال، نجد أن معظمها تركز على التناقض بين قيم الخير والشر،وهذا النوع من المسرحيات المقدمة للطفل تلجأ أو تقع أحياناً فى محظور التقرير المباشر الذى قد يصل إلى استخدام إحدى شخصيات العرض لكى تكون المتحدث الرسمى بلسان المؤلف، مما يدل على عدم تمكن

المؤلف من توظيف الإمكانات الدرامية فى تجسيد، وإيحاء، وتلميح، وإسقاط، واستعارات، ورموز، وصور تخلق الجو العام الذى يتشربه الطفل بمتعة وإثارة دون أن يتلقى درساً مباشراً فى الفروق بين الخير والشر.

ولقد خلق الله تعالى عز وجل الإنسان وفى داخله طبيعة فطرية تدرك ما هو شر وما هو خير، ما هو حرام وما هو حلال، ومن ثم فإن الطفل ليس فى حاجة حقيقية إلى التعرف على هذه الفروق بطريقة مباشرة، ولكنهم فى أشد الحاجة إلى المرور بتجربة نفسية (سيكولوجية) درامية ممتعة تعيد صياغة فكرهم ووجدانهم تجاه مفهوم أسرهم ومدرستهم والشارع الذى يمرون به ومجتمعهم، وهو ما تفتقر إليه معظم المسرحيات التى تقدم للطفل ، لأن المؤلفين كثيراً ما ينحازون إلى الجانب السهل والمباشر فى التعبير، ويتركون، التكوين المركب للنص المسرحى الذى من شأنه أن يصبح جزءاً عضوياً من كيان الطفل.

يمكن القول – بصفة عامة – إن القصص الخيالية البعيدة عن الواقع، والتى تعتمد على التهريج والأحلام وقصص السندريلا والأقزام تشكل النواة التى يرتكز عليها مسرح الطفل فى العالم العربى اليوم، وهى التى تؤدى – حتماً – إلى أن يغرق الطفل فى الأحلام والخيال إلى أن يكبر، ويصطدم بأرض الواقع.

ويلاحظ أن معظم المسرحيات التى تقدم للأطفال والتى تتناول الأساطير والخيال والحيوانات وما شابه ذلك بصورة مثيرة وجذابة يحبها طفل مرحلة رياض الأطفال... ويمكن الاعتماد على أغنية أو أغنيتين خلال العرض أو فى نهايته مما يجعله أكثر متعة للطفل.

نبذة تاريخية عن المسرح فى العالم العربي:

إن تجربة المسرح فى الوطن العربى التى انطلقت قبل أكثر من قرن وبدأت تنتشر فى أقطاره قد تتشابه من حيث النشأة والتكوين بحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتبعية الاستعمارية فى تلك الفترة، وستكتفى بعرض عينات لهذا النشاط فى بعض أقطار الوطن العربى.

بدايات مسرح الطفل فى البلاد العربية:

- أما فى الدول العربية فقد جاءت بدايات المسرح العربى بشكل عام مرتبطة بالمسرح المدرسى وجهود الطلاب فى النوادى والجمعيات.

- وكانت البداية عن طريق " تمثيليات خيال الظل " والتى جاءت من الصين مع المغول الذين احتلوا العراق، ثم ظهر هذا الفن على يد (الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال بن الخزاعى الموصلى) واستوطن فى القاهرة وانتقل إلى تركيا عام ١٥١٧ م على يد السلطان سليم الأول، ثم منها انتشر فى أوربا.

- وقد فعّل التعليم فى فترة مبكرة الحياة المسرحية، مما انعكس على التأليف المسرحى، والرغبة فى كتابة النص المسرحى المعبر، فقد أخذت البعثات الأجنبية تغزو البلاد الشامية منذ أواسط القرن السابع عشر، حيث راحت تؤسس المدارس والأديرة والكنائس خدمة لرغبات الدول القادمة منها، ومن أجل المحافظة على الطرق التجارية إلى الشرق الأقصى.

- وقد بدأت هذه الإرساليات فى إنشاء المدارس عام ١٨٤٨، التى اهتمت بالمسرح المدرسى، حيث ركزت فى البداية على المسرحيات الدينية البحتة والأخلاقية، إذ كان من تقاليدها ختام السنة الدراسية بحفلات تحتوى على النشاط المسرحى، وقد اهتمت شيئاً فشيئاً بتقديم مسرحيات ألفها كبار الكتاب العالميين مثل "موليير" و"راسين" و" كورني" و" شكسبير".

- وقد أتاح هذا للجمهور الاطلاع على المسرحيات العالمية، وقد علل "ياغي" كثرة المدارس الأجنبية باهتمام الدول بفلسطين لما لها من مصالح، فقد كثرت المدارس الأمريكية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والروسية، حيث لم تكن خاضعة لوزارة المعارف، وأغلقت معظمها أبوابها أيام الحرب فلم يبق سوى المدارس الألمانية والأمريكية.

- وانتبه الوطنيون إلى خطورة الأمر، إذ أن هذه المدارس غير معنية إلا بمصالحها،

فهى من الممكن أن تقفل أبوابها لحظة انتهاء هذه المصالح، كما أنها تعتمد على المعونات المهددة بالانقطاع فى أية لحظة، هذا بالإضافة إلى أنها لا تلبى رغبات أهل البلاد، ولا تتفق مع حاجتهم، بل إنها تقدم ثقافة الغرب وتسلخ أهل البلاد عن ثقافتهم.، فقام "الشيخ محمد الصالح" فى عام ١٩٠٨ سنة إعلان الدستور العثمانى، ومن منطلق وطنى بتأسيس مدرسة "روضة الفيحاء" التى اختفت أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن بعد الاحتلال البريطانى استأنف "الشيخ الصالح" مع أصدقائه تأسيس مدرسة وطنية باسم "روضة المعارف الوطنية"، التى استمرت تؤدى واجبها حتى النكبة الثانية عام ١٩٦٧.

- كما تأسست فى نابلس "مدرسة النجاح الوطنية" عام ١٩٢٢، ورأسها "محمد عزة دروزة" حتى عام ١٩٢٧، وأسس "خليل السكاكينى" المدرسة الدستورية التابعة للجمعية التهذيبية.

- وقد اتجهت هذه المدارس الوطنية إلى تشكيل الشخصية الوطنية المعتزة بتاريخها وثقافتها، وكان من الضرورى أن تقدم البديل لأنشطة المدارس التبشيرية، فاهتمت بالنشاط المسرحى، واعتمدت نظام الحفلات المسرحية فى نهاية العام الدراسى أو فى المناسبات الوطنية والأعياد الدينية، لهذا ظهرت للوجود مسرحيات عربية تعتمد التراث العربى وترتكز عليه بشكل قوى، منها: (جابر عثرات الكرام، وجريح بيروت، وعنترة، وصلاح الدين الأيوبى، وطارق بن زياد، وفتح الأندلس، وغيرها). وقد توجه بعض مؤسسى هذه المدارس والقائمين عليها إلى الكتابة المسرحية، حيث قام "محمد عزة دروزة" بمسرحة روايته "وفود النعمان إلى كسرى أنوشروان"، وكتب مسرحية "عبد الرحمن الداخل" و"ملك العرب فى الأندلس"، و قام الطلاب بتمثيل هذه المسرحيات على مسرح البلدية، كما تم التوجه نحو اعتماد مسرحية "مصرع كليبر" على جميع المدارس الثانوية، كجزء من المنهاج المقرر.

ويمكن القول أن البلاد العربية عرفت فى تاريخها القديم مسرح الأطفال

بأشكاله المختلفة: مسرح العرائس، ومسرح خيال الظل، والمسرح البشرى، وقد جاء فى كتاب الرحالة "كارستن نيبور" الذى زار الإسكندرية عام ١٧٦١، ومكث فى مصر سنوات طويلة إن فن الأراجوز وخيال الظل كان منتشرا فى القاهرة، وقال إنه جدير بالاهتمام، وسوف نتناول تناول الدول العربية لأشكال المسرح ولا سيما مسرح الطفل المدرسى بالتفصيل.

فى مصر:

لقد كان ظهور " فن القراقوز " فى مصر – فيما بعد – إيذاناً باضمحلال تمثيليات خيال الظل، ولكنه سرعان ما اندثر ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم النهوض بذلك الفن ،وتطويره ورعايته من قِبَلْ فنانين فقراء الحال والثقافة والهدف والإمكانات الفنية والمادية، وتلى ذلك ظهور" المسرح الشعرى الغنائي". - وفى مطلع القرن العشرين حدث التحول فى مسرح الطفل ،حيث كان ظهور أول مسرح للأطفال بشكل واضح فى مصر عام ١٩٦٤م، ولقد عاب مسرح الطفل – وقتها – غياب التخطيط، وعدم الثبات، والاعتماد على المصادفات فى العمل الفنى، وتوالى الاهتمام بمسرح الأطفال وأشكاله المختلفة بعد ذلك نتيجة انتشار المعاهد والكليات التى تخصصت بالمسرح؛ ونتيجة التطور الثقافى الذى شمل كتابات الأطفال بشكل عام .

ولعل وزارة المعارف هى أول مؤسسة حكومية اهتمت بالمسرح فى مصر عامة، ويرجع هذا الى نصف قرن، إذ أنشئت ضمن إداراتها إدارة الفنون الجميلة، وخصصت إعانات مالية للفرق التمثيلية العامة أقامت مباريات فى التأليف المسرحى، ثم نشطت الحركة التمثيلية فى المدارس فى أواخر العشرينات، واتخذت مظهرا جديدا، فقد تكونت فى كل مدرسة ثانوية فى القاهرة، وغيرها فرقة تمثيلية يشرف عليها أحد الهواة من المدرسين، آن الحركة المسرحية بالمدارس، بدأت بمدارس المرحلة الثانوية بالقاهرة ولم تكن تتجاوز إحدى عشرة، وقد امتدت الى كافة المراحل التعليمية التى وصلت مدارسها الى ما يقرب من (ستة عشر آلف

مدرسة – تضم زهاء ثمانية ملايين من الأطفال) واصبح النشاط المسرحى يمارس فى الآلاف من المدارس وفى عموم المحافظات.

ومن الأغراض الرئيسية للمسرح المدرسى عام ١٩٤٣ كما حددتها وزارة المعارف المصرية هى :-

١ – إنهاض اللغة العربية وإذاعة محاسنها.

٢ – تعليم الأطفال حسن الإلقاء نظما ونبرا.

٣ – زيادة المحصول الأدبى – والعلمى والتاريخى لدى الأطفال.

٤ – ان يكون اداة للتهذيب واحياء المثل العليا فى نفوس الأطفال.

٥ – ان يكون اداة تسلية برئية ومهذبة.

٦ – تنمية روح الاجتماع والتعاون بين الأطفال وتمكينهم من ممارسة بعض الفنون المتصلة بالمسرح

٧ – تصفية الذوق واستثارة باعث الجمال.

فى فلسطين:

وأما فى فلسطين فقد وردت الإشارة الأولى إلى وجود المسرح البشرى فيه عام ١٨٣٤، إذ أن ياور" نابليون" السابق المارشال "مارمون"، الذى شارك بالحملة على مصر وقام فى الفترة الأخيرة من حياته برحلات كثيرة إلى مختلف البلدان، كتب فى مذكراته عن رحلة قام بها إلى مدينة بيت لحم الفلسطينية عام ١٨٣٤، أبرز فيها مشاهدته عرضا مسرحيا فى دير كاثوليكى، حيث قال: "عيد الميلاد فى بيت لحم يُحتفل به بفخامة غير عادية، ولا تزال هناك عادة تقديم مسرحية دينية، كما كان الأمر عليه فى القرون الوسطى، حيث يُشخّص الأطفال مختلف الشخصيات من التاريخ الدينى، ويرتدون ملابس الأشخاص الذين يصورونهم"، ويلاحظ هنا الدور الذى لعبه الأطفال فى هذه المسرحية.

فى لبنان والشام :

يعد الشام أسبق تاريخيا فى الوصول إلى فن المسرح، ومنه المسرح المدرسى.إلا أنه الآن لا يعد مسرح الطفل محط الاهتمام الواجب مقارنة بالندوات والكتب وغيرها فيما يخص النشاط الثقافى للطفل.

ويشير" انطوان معلوف" إلى أن أول مسرحية قدمت فى لبنان هى "التحيل" "لموليير" قدمها "مارون النقاش" عام ١٩٤٨ فى بيت فى بيروت، بعدها مباشرة انفتحت فى وجه المسرح أبواب المدارس، وكانت تقدم مسرحية فى نهاية الفصل الدراسى الأول، ومسرحية فى نهاية العام الدراسى، وكذلك فى الأعياد وأغلبها كانت اقتباسا عن مسرح فرنسى أو إنجليزى ومسرحيات أخرى يكتبها أستاذ اللغة العربية شعرا ونثرا، ويذكر "معلوف" أن "الخورى يوسف طنوس"، كتب ما لا يقل عن (ألف مسرحية) فى النصف أول من القرن التاسع عشر وقليلا ما بعده، حيث اعتبرت هذه الفترة العصر الذهبى للمسرح التربوى، ومن الطريف أن قدمت مأساة يونانية (اوديب ملكا) "لسوفوكليس" على مسرح، كليريكى فى معهد (الرسالة البوليصية) ،أما اليوم فالأمر يختلف عن الأمس فدور المعلمات والمعلمين والمدارس فى العاصمة يقدم لأطفالها لا يقل عن عرضين مسرحيين فى العام الدراسى، ويقوم الطلاب بتأليف النص، ويقيمون الديكور، ويخيطون الثياب، ويعتبر عرضهم المسرحى الجيد يشارك فيه المعلمون والأهل.

فى الأردن:

بدأ الاهتمام بالمسرح التربوى فى الأردن فى الثلاثينات من هذا القرن فقد قدمت العديد من المسرحيات فى مدرسة السلط الثانوية، وكانت لهذه المدرسة فرقة موسيقية أيضا، وفى عام ١٩٧٥ بدأت وزارة التربية تهتم بالمسرح والتشميل، وتطور هذا الاهتمام فى الفترة اللاحقة وبدأت تقيم المهرجانات السنوية التى تقدم فيها المسرحيات المدرسية من مختلف مناطق المملكة لاختيار أفضلها وقد جهزت الوزارة بعض المدارس الشاملة والكبيرة بقاعات مخصصة للمسرح، ووضعت الحوافز

التشجيعية للأنشطة المسرحية، فضلا عن استضافتها الفرق المسرحية المدرسية وفرق بعض الأقطار العربية، لتقديم عروضها إليالأطفال فى المدارس فى الأردن، كذلك فإن كليات المجتمع المتوسطة تطرح ضمن مقررات تخصص التربية الابتدائية (مسرح الطفل للإعداد المدرسى الذى سيعمل فى مرحلة رياض الأطفال أو فى المرحلة الابتدائية.

فى العراق:

وفى العراق تأسست أول فرقة للمسرح عموما عام ١٩٢٧ على يد "حقى الشبلي"، إلا أن الظهور الأول لمسرح الطفل كان عام ١٩٧٠. وكان بأن تقوم فرقة مسرح الكبار بتقديم مسرحية للطفل ضمن برنامج النشاط العام.

وانطلق النشاط المسرحى فى العراق من رحم المدرسة. فقد تبنت المدرسة النشاط المسرحى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة (١٩٨٨) عندما قام "الشماس حنا حبش" باقتباس ثلاث مسرحيات هى (كوميديا – ادام وحواء – وكوميديا – "يوسف الحسن"، وكوميديا (طوبيا) اقتبسها عن الإنجيزية والفرنسية وقدمها فى مدرسة "الآباء الدومنيكان" فى الموصل حيث كان معلما فى هذه المدرسة .

وتوالت المسرحيات التى ألفها القس فى مدارس الموصل وبغداد، ويرجع اهتمام قسم من معلمى المدارس بالنشاط المسرحى فى المدارس نتيجة لدراستهم فى الغرب وعلى نحو أخص فى إيطاليا وفرنسا وكذلك تركيا، ونتيجة للعلاقة الثقافية والاجتماعية التى كانت قائمة بين العراق وبلاد الشام فى تلك الفترة، ولم يقتصر النشاط المسرحى على معلمى مدارس الموصل، إذ سرعان ما انتقل هذا النشاط إلى بغداد خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، وكان طلاب مدرسة الكلدان ومدرسوها فى بغداد مركز النشاط الفنى المسرحى الجديد الذى لم يره أبناء عاصمة الرشيد من قبل، ولعل أشهر أعمالهم المسرحية (سلسترا والوطن) عام ١٩١٨ ومسرحية (شهيد الدستور مدحت باشا) والتى قدمتها مدرسة "السريان الكاثوليك" فى نفس العام.

وتعتبر فترة الثلاثينات مرحلة جديدة وبارزة فى تاريخ الحركة المسرحية فى العراق عامة والمسرح التربوى خاصة بهذه الفترة، عندما أدرك الكتاب العراقيون القيمة الكامنة فى العمل المسرحى، وهى مساهمتهم فى التأليف المسرحى، فضلا عن تأسيس فرع التمثيل فى معهد الفنون الجميلة عام (١٩٣٦) على يد "حقى الشبلي" بعد عودته من الدراسة فى فرنسا.

وظهرت إلى جانب المسرحيات القومية والتاريخية مسرحيات اجتماعية تعليمية وهى فى الغالب تعالج مشكلات التعليم أو تحاول تثبيت المثل الأخلاقية فى نفوس الأطفال، واهتم كتاب المسرحية المدرسية فى العراق اهتماما كبيرا بالتاريخ العربى والتاريخ العراقى، واعتبرت كتاباتهم وسيلة جيدة لتيسير التاريخ العربى للأطفال وخصوصا فى المرحلة الابتدائية عند مطلع الستينات، وبعد أن خرج المسرح التربوى من نطاق إشراف معلم اللغة العربية ورعاية المدرسة إلى رعاية مديرية خاصة بهذا المجال تدعى (مديرية النشاط المدرسي) تقوم بالاهتمام بالنشاطات المدرسية ،وقامت هذه المديرية بجلب الكوادر المتخصصة للإشراف على هذه النشاطات وكان على رأسها فى تلك الحقبة "أسعد عبد الرزاق" و"مرسل الزبيدي"، و"وجيه عبد الغني" وغيرهم.

فى هذه الفترة تعددت الأعمال المسرحية المدرسية وتنوعت من حيث المضامين والأفكار التى تحملها، فضلا عن توسع قاعدة النشاطات المسرحية وامتدادها إلى أكثر محافظات القطر ،وقد بلغ مجموع المسرحيات التى قدمت على مسارح المدارس ومديريات النشاط منذ تأسيسه إلى الوقت الحاضر حوالى (٢٢٦) مسرحية بين تأليف وترجمة وإعداد.

فى الخليج العربى :

وفى الخليج يعتبر المسرح المدرسى من أنشط الأشكال المسرحية بالنسبة لمسرح الطفل. وهناك تأثيرات لاحظها الدارسون حول نتائج هذا النشاط المسرحى، والمنتظر له تقدما أكثر.حيث أن بداية ظهور النشاطات المسرحية المدرسية فى أغلب

اقطار الخليج العربى (كالكويت، والبحرين، وقطر) لم تختلف كثيرا عن التجارب العربية التى سبقتها فى هذا المجال مثل مصر، ولبنان، والعراق... الخ

فقد كانت المدرسة هى الوعاء الذى احتضن (المسرح) ،وفيها نما وترعرع ثم انتشر إلى النوادى والفرق الأهلية والرسمية، ويحكم التقارب الاجتماعى والتكون الحضارى لهذه الأقطار مع تزامن بداية التعليم فيها، فإن نشأة المسرح التربوى كانت متقاربة أيضا من حيث الفترة الزمنية، وكان المدرسون والمعلمون أصحاب الفضل الأول فى قيادة ورعاية النشاطات المسرحية المدرسية منطلقين من أهداف وتوجيهات تربوية بالدرجة الأولى ترتبط بالطالب والمنهج الدراسى والمحيط الاجتماعى ،واتخذ التمثيل المسرحى فى المدارس التعليمية القسط الوافر فى حيز تاريخ الحركة المسرحية فى هذه المنطقة العربية، وكانت الفعاليات المدرسية فى بداية تأسيس المدارس تشمل على الأنشطة الأدبية والخطابية ضمن فعاليتها السنوية، ثم بدأ بعض المدرسين يفكرون فى إضافة فقرة جديدة لهذه الحفلات وكان التمثيل هو الشيء الجديد الذى بدا مشوقا آنذاك .

فى المملكة العربية السعودية :

وما يقال عن الخليج يقال عن السعودية التى ارتبط فيها النشاط المسرحى بالمسرح المدرسى.

فى الجزائر:

أما الجزائر فقد عرفت فكرة الحكواتى منذ زمن بعيد. ولعب دوره أثناء الاحتلال وحروب الاستقلال. وهو صورة مبسطة من جوهر مسرح الطفل الآن. وعموما بدأ نشاط مسرح الطفل هناك مع المسرح المدرسى والتوجه السياسى للقيادة الجزائرية.

فى تونس :

تعد الستينات بمثابة حجر الزاوية فى تركيز الفن المسرحى فى تونس وفى هذه الفترة عاش قطاع المسرح عموما، وما بعدها بضع سنوات متميزة، إذ تعددت

تجارب واختلفت وتنوعت، وفى عام ١٩٦٣ إنطلقت تجربة المسرح التربوى فى المعاهد والثانويات وتخضع هذه الإنطلاقة إلى أربع عناصر حددها خطاب (٧ نوفمبر ١٩٦٢) الذى ألقاه "الشاذلى القليبي" كاتب الدولة للشؤون الثقافية بعنوان (المسرح صلة متينة بين الثقافة والمجتمع) :-

١- إن المسرح لا ينمو ويتقدم إلا على كاهل الشباب المثقف

٢- إن المسرح المدرسى يعلم الخطابة والإقدام ويكون الذوق الجمالى فى الشباب

٣- إنه يسمح باكتشاف ذوى المواهب والاستعدادات الفطرية وحملهم على اتخاذ هذا الفن مهنة فى حياتهم

٤- إنه يحل مشكلة المرأة فى المسرح التونسى.

فى هذا الإطار انبعث المسرح المدرسى، وتكونت فرق مسرحية تلمذية فى صلب المعاهد الثانوية، وبرعاية أساتذة ومشرفين متحمسين لهذه المادة المستحدثة، ومن مكاسب هذه التجارب أنها ساهمت فى اشتراك عدد كبير من التلاميذ والتلميذات، كما أدى إلى تطعيم المسارح الهاوية والمحترفة بعدد كبير من العناصر المسرحية، وخلق جمهور يتابع الحركة المسرحية فى مختلف دوراتها.

ويشير "الجاموس" فى مداخلته (تجربة التربية المسرحية فى المدارس الابتدائية فى تونس)

بأن أهداف هذه التجربة تنقسم إلى ثلاثة أنواع هى :

(١) أهداف نفسية :

حيث يعين التعبير المسرحى الطفل على نفسه وكيفية التعامل مع الآخرين فى عمل جماعى.

(٢) أهداف تربوية :

حيث يستعمل المسرح كوسيلة لتلقين الطفل مجموعة من المعارف فظلا عن تطوير قدراته التعبيرية حركة ونطقا وكتابة

(٣) أهداف فنية وجمالية :

حيث تعطى فرصة للطفل للاستمتاع بالفن المسرحى واكتشافه. وفى عام ١٩٧٥ تم ادراج مادة التربية المسرحية بالنسبة إلى السنة الأولى فى التعليم الثانوى (مادة) فى البرنامج الدراسى وهذا البرنامج يوفر للطفل عنصرين أساسيين مهمين.

١) التثقيف العام :

يوفر للطفل فتح نوافذ جديدة عن المعرفة والعلوم الإنسانية من حيث أن هذه التربية متفتحة على التجارب المختلفة.

٢) التكوين الفنى :

يكون انطلاقا من المحصول النظرى الذى يتم استيعابه فتتكون للطفل أرضية تؤهله الى الممارسة المسرحية فيكون (فنيا) فى هذا المجال أيضا، ويحتوى البرنامج على ثلاث مراحل.

١- مرحلة يكتشف فيها الطفل نوعية العمل المسرحى، فيتدرب على وسائل التعبير، ويكلف بتمرينات فى القراءة المختلفة، وتتجاوز القراءة النصوص وشرحها وإلقاءها، فهى قراءة تشمل كل العناصر المكونة للعمل الفنى من دراسة للفضاء الذى نراه ونحس به وندركه.

٢- مرحلة يوضف فيها الطفل حصيلة الاستنتاجات وهضم القراءات وذلك بوساطة إمكاناته الجسدية والصوتية والحسية التى يقع استغلالها مسرحيا.

٣- مرحلة النقد الذاتى: وهى مرحلة تحصل عند ربط العلاقة بين الطفل واكتشافاته. اذ يعيد النظر فيها عند تقديمها مسرحيا - وهى تمكن الطفل من تجاوز وضعية المتقبل للخطاب (النص المقروء) بصورة سلبية إلى وضعية يقف فيها موقف المتسائل أمام الأثر الفنى.

كما يمكن للطفل أن يلم بمختلف العناصر المادية والفنية لعمله وبوساطة تدخلاته الميدانية فى الشارع والسوق والحقل والمعمل، ويتوصل الطفل إلى تحدى

نفسه والملائمة بين قطبين أساسيين (المدرسة والمحيط) ،وبفضل هذا الاختيار يدرك الطفل أن عملية الإبداع لا تقتصر على الكلمة، بل هى أرحب من ذلك إذ تشمل عدة عناصر أخرى كالصوت الطبيعى والموسيقى وتمرين الجسم والإيقاع والأشكال والألوان، وبفضل معرفة الطفل فى هذه المرحلة لمحيطه والتفاعل معه بوساطة التغذية الراجعة يمكن تخليصه تدرجيا من كل ما قد يكبله ويخنق تلقائيته التعبيرية.

فى المغرب :

إن أول من تحرك فوق خشبة المسرح فى المغرب هى فرقة "فاطمة رشدي" الزائرة التى جاءت من مصر عام ١٩٣١ بعدها حملت المدارس الحرة مشعل التطور التمثيلى، إذ كانت كل مدرسة حرة، تقدم بعض المشاهد التمثيلية فى حفلاتها المختلفة طوال السنة خصوصا (المولد النبوى وحفلات آخر السنة الدراسية) وكان المعلمون يوزعون أدوار بعض المشاهد الموجودة بكتب المطالعة ،بعد هذه الفترة ذاع فن التمثيل بين الشباب والعائلات.

ونتيجة للتعديلات التى خضعت لها برامج التعليم سنة (١٩٨٥) تم إدراج المسرح التربوى ضمن مقررات المدرسة الابتدائية المغربية خلال السنة الدراسية ٨٧ / ١٩٨٨، فقد أصبح النشاط المسرحى يحظى بمكانة مهمة بالمدرسة المغربية شأنه شأن (القراءة والتاريخ والرياضيات)، كما أن هذه الفعالية أصبحت ملحة لما أفادت منه المدرسة المغربية فى تطوير برامجها نتيجة أخذها التعلم الذاتى طريقة فعالة يعطى فيها الدور الأساسى للمتعلم بدل المعلم، ومن ثم الخروج من التلقين إلى الحوار، فقد خصص للمسرح المدرسى (حصة واحدة) ضمن المنهج الدراسى المغربى الذى يدخل ضمن مادة التربية الجمالية التى تضم فصلا عن المسرح التربوى (الرسم والأعمال المسطحة والموسيقى والأناشيد)، وقد تضمن البرنامج التفصيلى للمسرح المدرسين بالنسبة الأولى من التعليم الابتدائى بالمدرسة، المغربية ما يأتى:

أولا : عناصر البرنامج وهى :

١) التعبير : ويتفرع هذا العنصر الى الموضوعات الآتية:

التعبير بالإشارة - التعبير بالصوت - التعبير بالحركة

٢) التشخيص : ويتفرع على الشكل الآتى :

تشخيص أدوار فردية - تشخيص أدوار ثنائية

٣) الحوار : ويتفرع حسب الموضوعات الآتية :

تمثيل بعض المعانى - الالقاء المعبر - الحوار التلقائى المقنن

٤) الميّم : ويركز فيه على موضوعين هما :

التعبير عن المواقف بالحركات - تقليد الحرفين بحركات ميمية

ثانيا : مفاهيم خاصة بالمسرح المدرسى وتتضمن :

الدراما الابداعية او التمثيل التلقائى - لعب الادوار - فن الارتجال

ثالثا : التقنيات المسرحية المدرجة بالبرنامج

رابعا : النصوص المسرحية بالبرنامج

يحتوى البرنامج على ثلاث نصوص تتصف بالبساطة، إذ أنها تشمل فقط على الحوار دون الاعتماد على الإرشادات المسرحية المصاحبة عادة لهذه النصوص مما يجعلنا امام نصوص مفتوحة.

الخلاصة:

ويمكننا الآن أن نقول إن حركة مسرح الطفل العربى ظاهرة معاصرة تحاول أن تنمو، ولكنها تفتقر إلى التنظيم الجيد للنصوص المسرحية، وكذلك قلة الخبرة فى التعامل مع الأطفال، والتعبير عن همومهم وأحلامهم ،فمسرح الطفل تسوده الآن الكثير من المفارقات الفنية والتناقضات الفكرية، والتى لا تزال تبحث عن خلاص فنى ؛ لأن الطفل فى حاجة إلى من يعبر عن أفكاره، ويبنى له تكنيك مسرح شامل

يحوى كافة المقومات التى تأخذه إلى عالم مختلف عما يعيشه ؛ حيث يتعلم مما يراه ويشاهده ويسمعه.

والخطوة الأولى التى يجب أن نتبناها هى خلق مسرح للطفل يكتسب من خلاله الكثير من المفاهيم العلمية والخلقية والقيم الاجتماعية، ومن ثم نصل إلى مسرح للطفل يشارك فيه الأطفال فى وضع رؤية لعرض المقررات الدراسية بأسلوب شيق جميل، واكتساب الكثير من المعرفة، والتى يمكن تمثيلها على خشبة المسرح أو فى الفصل، مع مراعاة مناسبة كل منهج درامى لكل مرحلة عمرية.

مسرح الطفل فى العالم:

ونظرا للأهمية التى يفرضها مسرح الطفل فى العالم بكونه جزءا لا يتجزأ من عملية التربية ذاتها، فإننا نرى أن هذا النوع من الفن أصبح إشكالية معاصرة لم توضع تحت المجهر إلا منذ فترة قريبة، وبالأخص عندما بدأت البلدان الأوروبية والأمريكية توليه عناية خاصة بسبب دوره الهام فى تشكيل بعدها الحضارى على المدى البعيد.

نبذة تاريخية:

فى الصين :

اشتهر الصينيون فى مجال مسرح الأطفال فى فترة مبكرة، حيث ظهر عندهم مسرح خيال الظل، ومسرح العرائس، الذى نشأ فى جاوا، حيث كان الأب يقوم بتحريك العرائس فى البداية، وكان الجمهور المشاهد من أفراد أسرته نفسها، إلى أن تطور إلى فن يشرف عليه محترفون.

فى الهند :

يرى بعض الباحثين أن الهنود لعبوا دورا هاما فى إظهار مسرح العرائس، حيث صنعوا عرائس ناطقة أمام الممثلين على خشبة المسرح.

فى اليونان:

ولعبت دراما الطفل فى اليونان دورا رئيسا، حيث كان الأطفال يشتركون فى المواكب الدينية التى تؤدى بطابع درامى، كما أن الجمهور المشاهد كان معظمه من الأطفال إلى جانب المشاهدين الكبار.

فى إنجلترا:

فى أوائل القرن الثانى عشر تعرفت إنجلترا على عروض مسلية يجد فيها الطفل و الكبير ضالته الروحية المنطلقة، بعيدا عن العلاقات النمطية التى تكرسها العادة، حيث قام الأطفال فى العصر الدرامى الأول بإنجلترا بأدوار رئيسة فى المسرحيات، وشملت العروض المؤلفة أغان ورقصات، وفكاهات، وحركات بهلوانية وعروض تمثيلية وحكايات خيالية وموضوعات شعبية قديمة مثل "سندريلا" و أطفال فى الغابة كانت هى السائدة .، وقد كان اهتمام المدارس كبيرا بالمسرح، حيث قام مدراء المدارس بتأليف المسرحيات مثل مسرحية"رالف دويستير"، وفى عام ١٥٦٦ مثّل طلاب إحدى المدارس مسرحية كوميدية بعنوان "باليمون واركبت"، وقدّم كذلك طلاب مدرسة "سانت بول" إحدى مدارس المنشدين آنذاك عدة عروض مسرحية؛ حتى أن المدرسة ألحقت فيما بعد مسرحا صغيرا بها، وأنشأت دارا للتمثيل.

وفى عام ١٧٨٠ تمّ نشر أربعة مجلدات بعنوان "مسرح التعليم" مثل "هاجر فى الصحراء"، و"الطفل المدلل"، و"الأصدقاء المزيفون"، وحظى الكتاب بإعجاب كبير وتُرجم إلى عدة لغات.

وقد أنشئت منظمة الطفل البريطانى (BCTA) عام ١٩٥٩ ،وجاء فى دستورها أن من أبرز أهدافها تربية الطفل من خلال الدراما والمسرح، وتشجيع تذوق الأطفال وتقديرهم لفنون المسرح، وفى عام ١٩٦٥ ظهرت فى الأوساط الثقافية فى بريطانيا حاجة ملحة إلى ضرورة ربط المسرح بالمجتمع، فبرز اتجاه يدعو إلى الاستفادة من النشاط التمثيلى لكونه وسيلة تربوية تساهم فى تطوير الفرد، كما ظهر

اهتمام بإمكانية أن يؤدى الأطفال المشاكل الاجتماعية تمثيلا، فبرز هذا المسرح بكونه ضرورة اجتماعية، تبلور هذا الاهتمام بتطوير العلاقات مع المدارس فأحضر الأطفال والفتيان لمتابعة العروض المسرحية، واهتم مسرح (بلجويد) فى مساهمة الأطفال الفعلية فى النشاطات، وتتابعت الجهود فكان للأطفال والفتيان مشاركة فعالة خلال العطلة الصيفية ضمن ما يعرف ببرنامج (المسرح وسيلة اهتمام وتسلية) ،تعرف الأطفال خلالها إلى أمور المسرح المختلفة مثل كتابة النص والانتاج والاخراج والملابس، بعد ذلك قدم المهتمون أوراق عمل حول الموضوع، ومن ضمن ذلك ورقة عمل (المسرح والتربية Theater and Education).

ويتفق كل من "محمود الشتقوي"،" محمد بسام"، و"جوسميث الامريكي" على أن مصطلح المسرح التربوى قد وجد فى أمريكا فى الثلث الاول من هذا القرن وتختلف تسمياته بين إنجلترا وأمريكا، فالإنجليز يطلقون عليه Drama in Education أو Theatrein Education، والأمريكان يسمونه Greative Dramatics ،أما فى الوطن العربى فالمصطلح المتعارف عليه هو المسرح المدرس، واختلاف التسميات لا يعنى اختلافا فى الأهداف والعناصر الأساسية لهذا النشاط الذى أظهرت الطرق الممكنة التى تربط المسرح بالمدارس، وورقة أخرى هى (المسرح التربوي) Theatre in Education بينت أنه لا يمكن فصل المسرح عن التربية، وعلى المسرح أن يدرك أنه يعمل ضمن نظام تربوى، ثم امتد هذا الاتجاه إلى مقاطعات عدة فى بريطانيا فظهرت فرق لاقت نجاحا، عرف المشرفون على هذه الفرق بكونهم (ممثلين – معلمين) ومن هنا نشأ مصطلح (الممثل – المعلم) (actor – teacher).

فى فرنسا:

اشتهرت دى جينيس بمعرفتها التمثيلية والموسيقية، وبنظرياتها التعليمية، وكانت ترى أن الدراما هى أفضل الوسائل لتعليم الأطفال الأخلاق ،و فى عام ١٧٨٠ تم نشر أربع مجلات بعنوان "مسرح التعليم مثل "هاجر فى الصحراء" و " الطفل المدلل" و" الأصدقاء المزيفون" .

وقد كان أول عرض قدمته مدام' ستيا 'عام ١٧٨٤ فى ضيعة "دون شارتر" بضواحى باريس، كوسيلة تسلية لأبناء الدوق والملك، وكيفية خروج هذه التجربة من الفراغ الملكى المحدود، لصناعة مسرح الطفل الذى يعتبره البعض أعظم اكتشاف فى القرن العشرين بعد الدمار الذى أحدثته الحرب العالمية الأولى والثانية.

فى الدنمارك :

أنشئ فى كوبنهاكن عاصمة الدنمارك مسرح مدرسى يقدم فى كل موسم سلسة من المسرحيات يشترك فى تقديمها عدد كبير من ممثلى المسرح الملكى، ويدير هذا المسرح (جمعية المسرح المدرسي) التى تشرف عليها لجنة منتخبة من نقابات المعلمين، وينتشر عددا آخر من المسارح المدرسية فى مختلف أنحاء البلاد .

فى الولايات المتحدة الأمريكية :

وكان أول من اهتم بدراما الطفل فى أمريكا المؤسسات الاجتماعية، حيث تم تأسيس أول مسرح للأطفال فيها عام ١٩٠٣، وسُمى بالمسرح التعليمى للأطفال، ويشرف عليه الاتحاد التعليمى فى نيويورك، وقد تمّ عرض عدة مسرحيات فيه منها "الأمير والفقير" و"الأميرة الصغيرة"، وكان الإنتاج فى هذا المسرح يساير الخطة التعليمية فى أمريكا، ولكن هذا المسرح لم يستقر سوى بضع سنوات، وأنشئت بعد ذلك مؤسسات، وجمعيات مختلفة لمسارح الأطفال منها جمعية الناشئين التى قدمت أول عمل مسرحى لها عام ١٩٢٢ م،وبدأت إدارة البلديات فى عام ١٩٣٢ فى المدن الرئيسة تهتم بإنشاء مسارح ثابتة تعنى بمسرحيات الأطفال.

وظهر عام ١٩٤٧ مسرح الأطفال العالمى الذى عنى بتقديم المسرحيات فى مختلف أنحاء أمريكا، ثم اتسع الاهتمام بالمسارح عندما أصبحت مادة مسرحية الأطفال والدراما الخلاقة تدخل إلى المناهج الدراسية فى العديد من الجامعات والكليات الأمريكية.

وأصبحت اليوم مسارح الأطفال متنوعة، متعددة، مما يصعّب عملية حصرها،

فقد تنوعت بين مسارح خيال الظل، والدمى بأنواعها المختلفة، والأقنعة بل والمسارح الورقية التى يصنع الأطفال أبطالها من الورق المقوى... بجانب المسارح البشرية التى تعمل عليها فرق الهواة أو المحترفين، وقد يلعب عليها الأطفال أنفسهم كما يحدث فى المسرح المدرسى، والتعليمى، والتربوى...ومسرحيات تخلط هذا مع ذاك.

وتخصصت بعض الفرق المسرحية بتقديم أعمالها فقط لسن ما قبل المدرسة - أقل من السادسة- ومن ذلك فرقة مسرحية فى نيويورك يستقبل ممثلوها الأطفال الضيوف بملابسهم المسرحية ليتعودوا عليها وعليهم، ويعطون للأطفال تذكرتين متصلتين، تفصلان عند منتصفها، حتى لا يبكى الأطفال حين تؤخذ التذكرة منهم عند الباب، ويصطف الأطفال الصغار قبل العرض فى طابور يتجه إلى دورات المياه، حتى لا يقوم الأطفال أثناء العرض، ثم يتجهون إلى أماكن جلوس منفصلة عن أماكن آبائهم.

وقد تفرع من منظمة المسرح الأمريكى، منظمة الطفل الأمريكى، وعملت هاتان المؤسستان على إدخال المسرح التربوى فى المدرسة ،وقد اصبح مسرح الطفل والمسرح التربوى يدرسان فى كثير من جامعات هذه الدول وتمنح فيها الدرجات العلمية العليا .

وفى جامعة (هارفارد) بناء ضخم للفن المسرحى، ومنه مسرح ومشغل ومكتبة وهو يتلقى المعونات السخية دائما، وفى جامعة (بال) مسرح طلابى يقبل عليه الناس، وفى مختلف المعاهد الثانوية نشاط مسرحى بارز، باعتبار أن دراسة المسرح جزء من المجتمع الدرامى ،حيث بلغ تقديم العروض المسرحية أيضا فى كاليفورنيا تسعون بالمئة من المدراس، فأنشأت صالات واسعة لمسرح الطلاب وأصبح يوم الاربعاء من كل أسبوع هو عادة يوم تقديم العروض المسرحية، ويكون الاساتذة فى مقدمة الحضور لتدوين الملاحظات، ثم يتناقشون بشأنها مع طلابهم، أما صناعة الديكور والثياب، ضمن اهتمام الطلاب أنفسهم كل

صف بدوره للتنافس بين الصفوف على تقديم العرض الأجمل والأفضل والموسيقى المرافقة من تأليف الطلاب وتأديتهم.

ويعتبر مسرح الأطفال الذى أنشئ فى مدرسة اللغات بجامعة (نورث ويسترن) عام ١٩٢٥ من أول المسارح التى ألحقت بالمدارس فى هذا المضمار، وبعد عامين اشتركت المدارس العامة وجمعيات الآباء والمعلمين مع الجامعة فى الاشراف على هذا المسرح ،وأختير له ممثلون من طلبة فصول (الدراما الخلاقة) بالمدارس العامة والجامعات، وفى بعض المدن تتولى المدارس الإعدادية والثانوية تقديم عدد من البرامج، كما استطاعت بعض المدارس الثانوية فى كثير من المدن تقديم برامج مسرحية يشهدها سكان المنطقة ،وأسهم بعض طلبة المدارس الابتدائية فى أثناء العطلة الصيفية فى تقديم برامج كاملة من المسرحيات ومسرحيات العرائس .

فى الاتحاد السوفيتى (سابقا):

إن التربية فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) تهتم كثيرا بالنص المسرحى، إذ هو وسيلة عظيمة فى تنشئة المواطن الاشتراكى، ولتقويم ما إعوج من الأخلاق.

وأصبح فيه اليوم أكثر من (١٠٠ مسرح للأطفال) قسم منها للألعاب المرتجلة ومعها ٥٥ مسرح عرائس أو أرجواز، وفيه ٤٠٠ مدرسة بين ابتدائية وتكميلية مجهزة بمسارح، وردود فعل الأطفال أمام العروض المسرحية تدرس بعناية فائقة، ومن ثم يتناول (البيت المركزى للثقافة) تلك الملاحظات ويصدر تعليماته التى يتقيد بها المخرجون والمؤلفون والممثلون فى مسارح المدارس ،والبيت المركزى المذكور يوزع ما لا يقل عن (٩٠٠٠) نص مسرحى للعرائس على المدارس المختلفة سنويا، ويصدر نشرة خاصة بمسرح الطلاب، فضلا عن أن الكثير من الدول كاستراليا وكندا وألمانيا وغيرها قد تبنت سياسة تربوية تهدف إلى إدخال المسرح فى المدرسة، وذلك بعد أن تأكدت بالتجربة والدراسة من أهمية الدور الذى يقوم به المسرح فى العملية التربوية، وقد دلت دراسة تمت تحت إشراف معهد المسرح العالمى التابع لمنظمة اليونسكو على أن من بين سبع وعشرين دولة جمعت منها المعلومات

حول استعمالات المسرح فى المدرسة أشادت (١٨ دولة) بتوظيف المسرح فى مدارسها.

وتعددت مسارح الأطفال إلى حد لا يمكن إحصاؤه فى الاتحاد السوفيتى -على سبيل المثال- بعد الحرب العالمية الثانية ١١٢ مسرحا بشريا، و ١١٠ مسرحا للعرائس!، وقد تجاوزت المسارح فى هذا العصر أرقام المدن والقرى، إذ يحدث أن يكون بالمدينة الواحدة أكثر من مسرح للأطفال مجهز بكافة الأدوات تقدم عليه عدة فرق أعمالها على مدار العام، وأصبح لكل بلد خطة وبرنامج ومنهج، من أجل تدريب الطفل على تذوق الدراما، ومن أجل تهيئته لكى يصبح متفرجا يعشق المسرح.

الخلاصة:

تصور مستقبلى لمسرح الطفل العربى :

هناك فجوة كبيرة بين واقع مسرح الطفل فى أوربا والولايات المتحدة وبيننا فى فهم مسرح الطفل ...، فهناك توجد مسارح كثيرة ومتنوعة ذات أفكار جذابة، وفى كل مدرسة فرقة مسرحية قوية، ومحتوى مسرحى قوى يتناسب مع الأعمار المختلفة للأطفال الصغار من طفل ما قبل المدرسة حتى الشباب فى الجامعة، فى حين كان لنا السبق فى هذا المجال من حيث الزمان والنشأة ؛ إلا أننا توقفنا فجأة – ولظروف متعددة – الأمر الذى يجعلنا نحاول أن نحزو خطاهم ونجتهد ؛ لكى نصل إلى ما يناسب طبيعتنا، والاحتفاظ بهويتنا العربية، ويكون لنا السبق فى التجديد دائماً .

لذلك كان لابد من التأكيد على ضرورة إنشاء مسرح يهتم بشؤون الطفل الذى يحتاج إلى مهارات أساسية فى جميع نواحى الحياة، وكذلك إستثماره فى إكساب الطفل محتوى تعليمى وبعض القيم الأخلاقية، و تنمية روح المرح والدعابة ورسم البسمة على شفاه الأطفال .

إن مسرح الطفل الناجح هو الذى لابد أن يعرف سمات كل مرحلة عمرية بجميع جوانبها الانفعالية والثقافية والاجتماعية والحركية واللغوية، والاحتياجات

التى تختلف باختلاف هذه المراحل.. خاصة أن كل مرحلة عمرية تحتاج إلى (تكنيك) درامى خاص يساعد المؤلف على توصيل النص إلى الطفل بسهولة فى المرحلة المبكرة أو مرحلة ما قبل المدرسة.. وكذلك المراحل العمرية المختلفة، حتى نصل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة أو مرحلة المراهقة والنضج.